الفصل السادس عشر

في الرحلة العملية وبيان ما إشتمل عليه معبد الأقصر

إعلم وفقك الله أن الحكومة السنية نظرت إلى معبد الأقصر بعين الأهمية في سنة ١٨٨١ حررت نظارة الأشغال العمومية كشفاً شاملًا لبيان المنازل والأملاك الموجودة به وقيمة كل واحد منها ولكن عدم الإقرار على طريقة حسناء مناسبة للعمل بمقتضاها بقي الحال على ما كان وفي سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٤فتح كل من جرنال الديبا بفرانسا والتميس بإنكلترا إكتتاباً عاماً فجمعا نحو ١٩٠٠٠ فرنك عبارة عن ٧٣٢٩٢ قرش وتخصص جزء منه لشراء بعض هذه المنازل وهدمها وإزالتها وجرى العمل على ذلك من إبتداء ٥ يناير سنة ١٨٨٥ ثم فرغت النقود ووقفت الحركة فإضطرت مصلحة الآثار إلى أن تدفع في سنة ١٨٨٦جانباً من ميزانيتها الخاصة لإتمام ما كانت شرعت فيه من العمل وأباحت للفلاحين أن يأخذوا سبخ غيطانهم من هذا المكان فكان في ذلك بعض المساعدة على نجاز الأعمال ولكن كل ذلك ما كان يشفي غليلًا وصارت الحركة بطيئة والشغل يمشي الهوينا وكلما تنكشف ناحية يظهر أنها مختلة البناء منزعزعة الأركان فإرتبكت الأحوال وخابت الآمال فارسات نظارة الأشغال مندوبها ليبدي رأيه فيما يراه فحرر تقريراً ببيان ما يلزم إجراؤه فكان ذلك باعثاً على صدور أمر خديوى يقضي بفرض جعالة قدرها مائة قرش على كل سائح يريد التفرج على آثارالصعيد وأن هذا المبلغ يدخل في يد مصلحة الآثار لتنفقه بمعرفتها على إصلاح ما يلزم بالآثار من نحو تنظيف وترميم وغيره وبذلك دارت الأعمال على محور الإستقامة وإشترت المصلحة سكة حديد صغيرة نقا لي لطرح الأتربة المتخلفة من الهدم في نهر النيل فكان في ذلك مساعدة عظيمة ثم أصلحت بعض العمد التي كانت أذابتها أملاح الأرض الناشئة من رشح فيض النيل وبنت سوراً حاجزاً لمنع الأهالي من إلقاء القاذورات والقمامات في المعبد ورفعت سوره وجعلت فيه برابخ لدخول ماء الفيض إليه وخروجه منه متحملًا بالأملاح المضرة بالبناء ولم يبق به الآن غير منزلين ومسجد سيدي أبي الحجاج وضريحه ولا يخفي ما في ذلك من المشاكل أما قشلاق البوليس والبوسطة وغيرهما من الأماكن التي كانت هناك فلم يبق لها الآن أثر وبذلك راق الحي وخلا الجو للمعبد.

وذكر علماء الآثار أن معبد الأقصر والكرنك بنيا الثلاثة معبودات وهي (أمون رع) وزوجته (موت) وابنهما (خنسو) وظن بعضهم أن معبد الأقصر تأسس على أطلال معبد قديم كان من بناء ملوك الطبقة الثانية وأيد دعواه بالأدلة الآتية وهي أن في سنة ٨٧ وجدت مصلحة الآثار حينما كانت تنظف هذا المعبد مائدة من الحجر الأسود الجرانيتي كان صنعها الملك (أوزرتسن) الثالث من العائلة الإثنى عشر ليقرب عليها القربان لمعبود مدينة اهناس المدينة ومنها وجود أحجار أثرية عليها اسم الملك (سبك حوتب) من العائلة الثالثة عشرة ومنها أنه كان من عادة القوم أن يبنوا هياكلهم على أطلال الهياكل القديمة المندرسة غير أن جميع ذلك ظن وتخمين وأن الظن لا يغني من الحق شيأ.

أما المعبد الموجود الآن فهو من عمل الملك أمونوفيس الثالث المعروف على الآثار باسم (أمنحتب الثالث) من العائله الثامنة عشرة وقطع أحجاره من جبل السلسلة وشيد جميع أماكنه المهمة ثم مات ولم يتم جميع نقوشه فاتمها هوروس (هورمحب) آخر ملوك هذه الدولة وبه للملك سيتي الأول من العائلة التاسعة عشرة بعض مباني وقد سبق ذكر ذلك وهذا الهيكل يشتمل على المعبد من حيث هو وعلى بعض أروقة صغيرة ثم رحبة الإيوان أوالبواكي وكان جميعها معروشاً بالحجر الجافي ثم الحوش العظيم الذي كان محفوفاً بالإيوانات المعروشة ثم دهليز الإيوان المحمول عرشه على أربع عشرة إسطوانة ويقال أنها كانت أكبر وأعظم جميع أساطين مصر وهذاهو جميع ما شيده الملك أمونوفيس الثالث وطوله لغاية الدهليز مائة وتسعون متراً وأعظم عرضه خمسة وخمسون متراً وكان به نحو مائة وخمسة وخمسين إسطوانة وهو الذي أحاط الطريق الموصل منه إلى معبد الكرنك بصفين من الأصنام التي على هيئة الكباش الرابضة وأرصدها على معبوده (أمون).

أما رمسيس الأكبر فقد زاد به الحوش الثاني العظيم وأقام في دائرته صفين من الأساطين المعروشة وشيد برجيه ونصب ملستين أمامهما وهو الذي صنع التماثيل الحافية التي به ولما دخلت الديانة المسيحية مصر سنة ٣٨٩ ميلادية أحدث النصارى به كنيسة برحبة الإيوان أوالبواكي المتصلة برحبة الحوش وسدوا أبواب الأروقة التي جهة الجنوب وجعلوها ثلاثة أماكن مستقلة بنفسها.

وفي مدة حكم العزيز مُحَمَّد علي باشا أنعم بإحدى مسلتي الإسكندرية على دولة فرنسا فإلتمست منه أن تستبدل هذه الهدية بمسلتي الأقصراللتين على باب هذا المعبد ففعل وأجاب

طلبها وفي سنة ١٨٣١ ميلادية بعثت حكومة فرنسا إرسالية فنقلت إحداهما إلى مدينة باريس وأقامتها في ميدان (الكونكوردو) أما مسلتا الإسكندرية فقد أنعم بإحداهما إسماعيل باشا خديوي مصر الأسبق على دولة أمريكا وبالأخرى على دولة الإنكليز فأخذوهما في سنة ١٨٧٧ إلى بلادهما.

وقد إهتمت علماء الآثار بنسخ وترجمة جميع نقوش هذا المعبد ولم يبق منه إلا المكان الذي به مسجد سيدي أبي الحجاج وقد صدر الأمر من مدة قريبة بهدمه وبنائه في مكان آخر.

أما المسلة الثانية الباقية الآن هناك على باب المعبد فيبلغ إرتفاعها ٣ سنتي و ٢٥ متراً من ذلك ٥٦ سنتي و٢ متر قيمة تاجها وهو كالقمع وعرض قاعدتها نحو ٥٠ سنتي و٢ متر ويبلغ ثقلها ٢٥٧٠٠٠ كيلوغرام ويرى على كل سطح من أسطحها أسفل القمة صورة رمسيس الأكبر جاث يقدم قرابينه إلى المعبود (أمون رع) وهاك ترجمة بعض ما هو مكتوب عليها.

النهر الأول من السطح الغربي (هوروس الشمس الثور محبوب رع الملك) المحبوب مثل أمون ابن رع البكري الجالس على كرسيه ملك الصعيد والبحيرة (رَعْ أو سَرُمَعَتْ سِتَبُ أنُ رَعْ) ابن الشمس (أمنْ مَرُرَعْ مَسُّو) مسكن أمون صار مزيناً مثل أفق السماء وقد إبتهج الناس مما فعله في هذه العاصمة ملك الصعيد والبحيرة (رع أوسر معت ستب أن رع) ابن الشمس (أمن مررع مسو) (ملحوظة) الأول لقب رمسيس الأكبر والثاني إسمه.

النهر الثاني من السطح نفسه (هوروس الشمس الشجاع صاحب اليقظة رب التاجين المهاب الحامي مصر هوروس الظافر قامع الأمم الطارد للأشقياء ملك الصعيد والبحيرة (رع أوسر معت ستب ان رع) الذي يشتغل لفخر أبيه أمون في مسكن الحق حتى صارت أرباب طيبه في غاية السرور وإبتهجت بما خلده ابن الشمس (أمن مررع مسو).

النهر الثالث من السطح نفسه «هوروس الشمس محبوب معت ملك الآثار العظيمة مسكن أمون» الملك القوي النبيه رب السيف القاهر ملك الصعيد والبحيرة «رع أوسر معت ستب أن رع» ابن الشمس «أمن مررع مسو» الذي أبهج أرباب طيبه إلخ.

النهر الأول من السطح الشمالي «هوروس الشمس محبوب معت» ملك الصعيد والبحيرة «رع أوسر معت ستب أن رع» ابن الشمس «أمن مررع مسو» رب المدح مثل «تاتن» صاحب الأرضين «رع أوسر معت ستب أن رع» صانع الآثار العظيمة بمدينة طيبة المختصة بأبيه أمون رع

الذي أجلسه على كرسيه إبن الشمس «أمن مررع مسو» وهكذا باقي أوجه المسلة وفي كل وجه أو سطح ثلاثة أنهار من الكتابة غير أن جميع معانيها تدور على هذه المعنى وكان بقاعدتها صورة أربعة قرود من الحجر اللطيف تعرف عند علماء الآثار باسم «سينوسيفال»[1] نقل بعضها الفرنسيس إلى بلادهم عندما أخذوا المسلة السابق ذكرها ولهذا الآن لا يعلم ما كان الغرض من عمل هؤلاء المسلات وزعم العلماء أن الغرض هو تخليد اسم الملوك أصحابها وشهرة المعبد الذي تكون أمامه كالمئذنة وبرج الكنيسة إذ ليس لهما مدخل في قواعد الديانة أما باب المعبد فكان مزينًا بستة تماثيل جسيمة جدًا وكلها من عمل هذا الملك وهو رمسيس الأكبر المعروف باسم رمسيس ميامون أو سيزوستريس أو رمسيس الثاني أما التمثالان اللذان عن يمين الداخل ويساره فهما صورة هذا الملك وهو جالس على تخت ملكه وهما باقيان إلى الآن والأربعة الأخيرة على صورته وهو قائم ولم يبق منها غير واحد سليمًا تطرق إليه يد التلف إلا شيئًا قليلًا وهو تسوية وجهه وإزالة راحتي يديه و كل واحد منها متخذ من حجر واحد من الجرانيت الأسود وفي التمثال الغربي وهو السليم عرق أجر يمتد على العصابة أما عرض جلسته فتبلغ ٥٠ سنتي و ٢ متر وطولها ٧ متر وارتفاعها ٥ سنتي و ١ متر وارتفاع التخت أو الكرسي الجالس عليه هذا التمثال يبلغ ٩٠ سنتي و٢ متر و ارتفاع التمثال ٦٥ سنتي و ١١ متر منها ٦٥ سنتي و ٦ متر من القدم إلى الكتف ومنها ٢ متر ارتفاع الرقبة والرأس والباقي وهو ٣ متر قيمة العصابة والتاج وهو مركب من تاجي الصعيد والبحيرة داخلان في بعضهما فوق العصابة المصنوعة على شكل قماش به خطوط يحيط بالرأس ويرى في عنقه قلادة جميلة المنظر أو أسماط منضدة وعلى بدنه صورة ثوب متجعد بلطف به ثنيات يصل إلى ركبتيه وبوسطه منطقة معقودة فوق الخصر وعلى أحد جوانب التخت صورة زوجته الملكة «موت مَرْ نفَرَتْ أرى» وعلى قاعدته صورة الأم التي خضعت له من الزنوج وأهل آسيا واسمهم مكتوب في خانات سلوكية على صدرهم.

أما باب المعبد فهو محصور بين البرجين السالف ذكرهما ويبلغ عرض كل واحد منهما ٤٠ سنتي و ٨ متر وطوله ٣٠ متراً وسعة الباب بينهما ٤ متر فعلي ذلك يكون عرض وجهة المعبد ٦٤ متراً وحالتهما الآن غير جيدة وتؤذن بالسقوط ما لم تتداركهما عين الحكومة بالترميم والتقوية ويغلب على الظن أن الشرقي منهما يسرع له الدمار إذا أزالت المصلحة الأتربة التي تسند

[1] السينوسيفال حيوان خرافي يكون على هيئة إنسان برأس قرد وهو رمز على كوكب الشعري اليمانية أو هرمس.

جدرانه وكان في الجهة الشرقية من الباب سلم يصعد إلى عرشه ومنه يصعدان إلى أعلاهما وارتفاعهما ٢٤ متراً ويرى فيهما بعض أحجار مأخوذة من المعبد الصغير الذي كان بناه هناك «خون أتن» لمعبوده قرص الشمس وجميع وجهة الباب منقوشة وعليها اسم رمسيس الثاني ونصوص بربائية تدل على وقائع هذا الفاتح مع أمة الخيتاس «في بر الشام وقد تحزب فيه على أهل مصر أغلب سكان آسيا الصغرى» وصورة المعسكر وعساكر الرماة بملابسهم وأسلحتهم والدرق في أيديهم وعلى الجهة اليسرى صورة الملك اثنين من الجواسيس وبجوار ذلك صورة مشورة حزبية معقودة ثم الخفر السلطاني مركب من العساكر المصرية وعساكر «الشردنه» ويعرفون بخودهم الكروية الشكل ذات القرون والأكرة الصغيرة وعلى الجناح الشرقي صورة المصاف أي الواقعة الهائلة التي كانت بين هذا الملك وأمة الخيتاس وعلى اليمين صورة الملك راكبًا عربته يرمي سهامًا على أعدائه وقد احتاطوا به من كل ناحية ثم تراهم قد انهزموا وولوا مدبرين ووقعوا في النهر وترى العربات المصرية أعلى وأسفل تسير صفوفًا مع الترتيب والإنتظام وعلى كل واحدة ثلاثة رجال أحدهم يقاتل الأعداء وثانيهم قائم بسياسة الخيل وثالثهم يقودها.

وفي نهاية الجهة اليسرى جيش العدوّ مصطفًا أمام جيش مصر وكل منهما زحف على عدوه وأسفل ذلك كتابة صورتها «عاد الوغد اللئيم ملك الخيتاس وهو يرجف فوق عربته الحربية» وعلى عربته كتابة بربائية ونصها «خلفه عشرة آلاف وتسعمائة مقاتل وهم جيش العربات أتى بهم من بلاد خيتاس الحقيرة» ثم ترى جيوش المتحالفين من الأعداء دخلوا بإزدحام في مدينة محصنة بالأسوار يحيط بها الماء وإلتجؤا إليها فرارًا من جيش المصريين وترى لهم صورًا متنوعة ظاهرة منهم أمة الخيتاس ولهم وجوه ضخمة متقبضة «متكرمشة» ورؤوسهم مستورة بقماش معقود بشريط على جبهتهم ومنهم أمة الشكلاش وعلى رؤوسهم قلنسوة نازلة من خلفهم ومنهم أمة الطورشا ولهم خودة دقيقة من قمتها ثم أمة الجكاري ولهم عصابة تشبه قلنسوة العجم وأسفل ذلك تفصيل الواقعة منقوش بالقلم القديم وهذا النصّ يعرف عند علماء الآثار باسم قصيدة «بنتاؤر» ولم نتعرض لذكرها إذ ليس هذا محله فراجعها في كتاب توفيق الجليل للمرحوم رفاعه بك نمرة ٨٣ .

وكان ظاهر الحوش الذي بناه هذا الملك بهذا المعبد مستورًا بالنقوش والنصوص البربائية وتواريخ وقعاته غير أن يد الدهر تسلطت عليها فأزالتها بالكلية ومحتها بالطريقة القطعية لكن لحسن الحظ نجد صورتها في كثير من المعابد الباقية من أيامه.

أما نقوش داخل هذا الحوش فنصوص دينية ولا فائدة في ذكرها هنا ويرى به أسماء رؤساء بلاد وهي عبارة عن الأقاليم التي كانت خاضعة لمصر مدة حكم هذا الملك باقي نقوش هذه الجهة فمستورة بمسجد سيدي أبي الحجاج وإذا كشف هذا المكان لابد وأن نجديه بعض أشياء تاريخية أو جغرافية وترى بجوار حلية الباب الذي شيده أمونوفيس الثالث ما بقى من التصاوير التي كانت تدل على العبادة وعلى حائط رميس صورة الأبراج والمسلتين والستة تماثيل ثم صورة سبعة عشر من أولاده وفي كل واحد منهم باقة أزهار كأنهم أتوا ليحضروا حفلة عامة وخلفهم فوج من الخدم والحشم ومعهم نيران ليقدموها قربانًا وبين قرونها علامات مختلفة .